

قصة اجتماعية

النغم المبتور

بقلم سمير . م

على ساحل البحر ، حيث تتوسد الشاطئ إحدى المدن الساحلية المصرية . وفي هجعة الليل حيث المدينة وسنانة ، وحيث أهلها ينعمون بنوم هادئ لذيد ، تاركين للغد كل ما يتمخض عنه الغد ، بدأ " عبد العظيم " ينفض عن عينه ثوب الكرى ، وينظر إلى البحر الهادئ الساكن نظرة المحب العاشق أو نظرة الابن البار لأمه العطوف الحانية ، والحق أن " عبد العظيم " كان مدينا للبحر دينا لن ينساه في حياته حتى لو تعدد أن ينسى . فلم يقتصر فضل البحر على عبد العظيم فقط ، وإنما فضله يتمر والديه وجدته وقد يتصل الفضل بسلالته كلها أو جلها ، فوالد عبد العظيم كان يشتغل بصيد السمك من البحر وإرثا المهنة عن والده ، ولا يزال المترددون على شادر السمك في تلك المدينة يذكرون عم " مسعود " الصياد ، ويذكرون كيف كانت حلقة السمك تتعش كل يوم على يدى عم مسعود .

وكان للفقى عبد العظيم ولع كبير واستعداد طبيعي للفناء ، وقد يكون للمدينة وما يحيط بها من مفاخر الطبيعة الساحرة الدافع الأكبر لتنمية مواهب الفقى وتقوية استعدادة ، إذ كان يعيش في مدينته سعيدا خالى البال يملأ شاطئ البحر بنغماته الساحرة الفاتنة ، قائما بالقروش الستة التي كان يتناولها من المعلم " سفروت " الصياد صاحب الزورق الذى كان يساءده في صيد السمك ليلا ، فكان ينام النهار ويستيقظ الليل لياشر عمله مع الصياد ، وكان الصياد معجبا بمساعدة الفقى ، ويشعر بحزين وشوق كلما قاب عنه فيحرم من صوته العذب ونغماته الرقيقة .

فاللقى فنان بالسليقة يجمع في أنغامه بين روح الطبيعة وروحه ، ويعبر بصوته عن شكواه وحنينه ، كما يعبر عن شكوى البحر في هدوئه عند هبوب الرياح ، وعن شكوى الرياح وأينها عند هبوبها في رحاب السماء ، وكانت الطيور تصغى إلى أناشيده وتتلقنها منه ، فكان البلبل يقلدها في تغاريدته ليلا ، والقبرة عند بزوع الفجر .

طار صوت الفتي على طول الساحل فكان عمال الساحل يقصدون الشاطئ ليلا يستمعون إلى الفتي الموهوب فينسون الآلهة المهيبة وهم يستمعون إلى الصوت الحنون واو إلى حين ما . وكان أشد هؤلاء افتئانا وحرصا على سماع الفتي فتاة حلوة القسماث ناصحة الأنوثة غضة الالهاب ليس لها في الحياة من ناصر أو معين سوى أمها التي تحترف طحن الغلال فكسب من يومها قروشا تضيفها إلى إيراد ابنتها من بيع البرتقال على شاطئ البحر للعمال والصناع فيغلبا بها على ضروريات الحياة .

شغرت الفتاة وهي في ترددتها على الشاطئ بدافع خفي يدفعها نحو الفتي صائد السمك ، وكان صوته الحنون الذي يحوى في ثناياه أسى ولوعة يجدان صداهما في نفس الفتاة المحرومة من عطف الحياة ونعيمها فيظل في نفسها شعور بالتعزية والاحساس بأن في الحياة من يشاركها ألمها وشقوتها ، وكم نتيجة طبيعية لهذه العاطفة التي سرعان ما وجدت استجابة لها من ناحية الفتي الذي عثر في فتاته ماهرة تتمتع أمام موهبته مغاليق الروح وتستخرج من قرارة نفسه كنوز الفن ، تعاهد الفتي والفتاة أن يكونا لبعضهما حتى الموت وأن الأيام لن تستطيع أن تفرق بينهما أو تنال من عهدهما .

واهتمدى الفتي أخيرا إلى طريقة تزيد من إيراده وتنقذه من ورطته ، فكان في وقت فراغه يصعد على ظهر البواخر التي ترسو في الميناء فيمارس أمام الأجانب بعض الألعاب الحوالة والشعوذة التي تعلمها من زملائه في البحر ، فكان يظفر منهم بقروش يسيرة أمكنه أن يجمعها فصارت مبلغا لا بأس به دفنه في جهة معلومة من رمال الشاطئ .

شعر الفتي بعد أن تعاهد مع فتاته أنه قد تعرض لمسئولية جديدة عليه ، لا بد له أن يتحملها مهما كان الأمر ، فهو في حاجة إلى زيادة إيراده حتى يمكنه أن يوفر جزءا استعدادا للزواج ومطالبه ، ويعطى الباقي لوالدته العجوز كي تضيفه إلى ربحها البسيط من بيع الجرجير والليمون والفجل وتنفق منه على أفراد الأسرة المكونة منها ومن أولادها الثلاثة وأصغرهم عبد العظيم ، كان الاخوان الكبار لا يعمل لهم في الحياة إلا الأكل والنوم والاعتداء على كسب أمهما وعبد العظيم ليدفعا منه ثمن النارجيلة ولعب الورق في المقهى .

وفي ليلتنا هذه التي بدأت فيها حوادث هذه القصة ، وبينما كان عبد العظيم يتجه إلى زورق عم "سفروت" الصيد ليستأنفا عمهما في صيد السمك بمصاحبة صوت عبد العظيم الطروب ، رأى الفتي مصباحا يتجه حامله صوب الزورق ، ودور يرق ضوءا مضطربا يرشد حامله إلى الطريق ، فتأمل عبد العظيم المصباح برهة ، فظنه لأحد النوتية الذين يعملون بالليل ، وهم يستأنف المسير ، إذا بصوت خافت مضطرب تخالطه نبرة من حزن صرير يصيح .

— عبد العظيم ... عبد العظيم ...

— من ... أمينه ؟

— أجل ... أين أنت ؟

فتقدم منها الفتى وأخذ بيدها المرتعشة وهو ينظر إليها نظرة المستطلع لأمرها المتالم لها ، ولما رأى الفتاة تعاني رعدة تملكها من فرعها إلى أنحصر قدمها أجلمها على صخرة من صخور الشاطئ وسألها عما جاء بها في مثل هذا الوقت ؟ وبعد برهة أجهشت الفتاة بالبكاء المرير واستطاع الفتى أن يفهم من كلماتها المختلطة أنها بينما كانت راجعة الى البيت شعرت بانقباض شديد لا تدرى سببه ، ثم سرعان ما انجابت لها الحقيقة عندما وبلت بيئها ورات أمها ماقامة على الأرض جثة هامدة وليس بجانبها من يغمض عينها ساعة الموت أو يسقيها جرعة من ماء .

دمعت عينا الفتى لسلم نال فتاته وتقدم منها في لوعة نائرسامات يطلب إليها أن تبكي ، فإن انقباس دموعها في ماقمها لأشد خطرا من هطولها . ثم تركها في غيبوبة الألم برهة عاد إليها بعدها وهو يحمل المبلغ المدخر كي يرافقهها الى حيث ترقد أمها التعسة .

وبعد أن قام الفتى بواجبات الجنائز والدفن اصطحب الفتاة الى أمه لتجعل منها ابنة ولتتخذها هي أما بعد أن عدت الأم وفقدت آخر الأهل .

ولم يعد هناك ثم ما يدعو الى تأجيل الزواج ، فسرعان ما تم بعد أن انتهت أيام الجداد ، فأقامت الفتاة في بيت أسرة عبد العظيم ، وأبى الفتى أن تعود زوجته الى الاشتغال ببيع البرتقال على الشاطئ فكفاهم ما يكتسب هو وأمه ليقضى حوائج الأسرة ويقوم بأودها .

وقد لا يعرف عبد العظيم حتى الساعة أن زوجته كانت تساعد أمه خفية في بيع الفجل والجرجير عندما تطلب منها الأم ذلك ، فقد كانت الفتاة تحرص على ألا يعرف زوجها هذا الأمر فيغضب من أمه وما يتبع هذا الغضب من أمور .

ظلت السفينة تسير في طريقة حاملا أسرة عبد العظيم والريح لا بأس بها والجو معتدل حتى ثارت الزوايع وعصفت الرياح فانصدعت الدفة واختل توازن السفينة ، وكان ذلك بينما عبد العظيم يعتلى سارية الزورق ليطوى "القلع" اذ انزلت قدمه فوق على سطح الزورق وهو يعاني ألما لا يطاق في ساقه اليمنى ، ولم يدر الفتى نفسه شيئا من ذلك الا بعد أن استفاق في المستشفى بعد أيام وهو طريح سرير من أمرتها .

ويعجزنا أن نصور شعور الفتى ربيب البحر واهن الطبيعة القوي وهو يرى نفسه في إحدى الليالي طريحا في فراش يصرخ كل ما حوله بكلمة "مرض"، ولم يفهم الفتى بادئ بدء حقيقة ما حدث له، ولكنه عند ما استمد من ضعفه قوة وتحامل على نفسه ليقف على قدميه وي طرح عنه ثوب المرض لم يشعر إلا وقدماه تهويان إلى الأرض فينكفئ على وجهه وقد صرخت في أذنيه الحقيقة المروعة. لقد قطعت ساقه !!!

أمكن هذا؟ أمن المعقول أن ينقلب الصحيح ناقصا، والسليم معنلا، والقوى ضعيفا؟ أجل ممكن، وهكذا شاءت الأقدار.

ظل عبد العظيم في إنغمائه مطروحا على الأرض بعد أن تبليجت له الحقيقة القاسية ما يقرب من الساعتين حتى طلع الفجر، وانتشر المرضون يطمثنون على المرضى في المستشفى وإذا بهم يعثرون على الفتى وهو في رقدته فيحملونه إلى سريره، ويعملون على تئيبه حتى إذا أفاق ظل يتفرد في وجوههم بذهول يكاد يدنيه من الجنون، وهم يجاهدون بكلماتهم الموانية أن يهونوا من خطبه ويخففوا من مصابه، ولكن ماذا تجدى الكلمات نفعا أمام هول الواقع.

بارح الفتى المستشفى وهو يتوكأ بسد على عصى هي في الحقيقة فرع جاف لإحدى الأشجار، وييده الأخرى يتعامل على زوجته المخلصة أمينة التي أبت بعد أن ألمت بمصاب زوجها أن تبارح باب المستشفى أكثر أوقاتها، انتظارا لخروج زوجها وارتقبا لأخباره. ويتصادف أن تكون الزيارات ممنوعة للمرضى فتعذر عليها أن تزور زوجها الطريح، ولم تأبه لنصح المرضين ولا الأطباء بالذهاب إلى منزلها ولتطمئن على سلامة زوجها. ولكنما ظلت أكثر الأيام بجوار المستشفى تتطلع إلى نوافذها راجية أن تحظى برؤية زوجها حتى إذا نال منها التعب آت إلى منزلها بقلب كبير ونفس متوجمة.

وعندما علمت الزوجة بما حل بزوجها بعد أن رأته يغادر المستشفى وهو مجرد خافه ساقا واحدة، لم يظهر عليها أثر الصدمة التي نزلت بها فزلزلت مكانها، ولكنها تحماتها بصبر وشجاعة، ولم يبد عليها أنها قد ألتت بالألمصاب، فكانت تتم وهما في طريقهما بعبارات التشجيع والمواساة، بينما كان قلبها يتفتت ألما، وكبدها يذوب مرارة.

وفي المنزل استقر بالفتى المقام حيث اجتمع حوله نفر من الصحاب والزملاء والأقارب ولكن مرعان ما انفضوا من حوله بعد أن جاد كل منهم بما فتح الله عليه به من العبارات الملائمة للوقف.

لم تمنح أيام قلائل على استقرار الفتى بالمنزل حتى برمت به أمه بل وصارحته من أين تطعمه هو وزوجه ؟ فحز الألم في نفس الفتى ، ولكن الزوجة المخالصة لم تدعه يتألم طويلا ففى اليوم التالى خرجت فى البكور قبل أن يتسحر زوجها وذهبت الى صاحب المطبخ الذى كانت تعمل فيه أمها ورجته أن يقبلها فى مكان أمها ، وظلت تستدر عطف الرجل وشفقته حتى قبل وعين لها أربعة قروش فى اليوم فرحت بها الزوجة الشقية وحملتها آخر اليوم الى والده زوجها ، بينما كان الزوج يتقطع أسى ويمزق ألما لاضطرار زوجته الى الخروج للحصول على قوته وقوتها .

وفى ذات يوم أمكنه أن يتوكأ على عصا ويذهب الى إحدى الجمعيات الخيرية يسألها أن تساعد الجماعة فى إيجاد عمل له ، فعينه الجمعية مؤذنا فى أحد المساجد التابعة لها لقاء جنيه فى الشهر ، فكان الفتى يقوم فى الفجر ليؤذن للصلاة ، فيدوى صوته فى المدينة رائعا ساحرا يحوى الى جمال الصوت جلال المعنى وعظمة الدعوة ، فكان الناس يجردون فى المؤذن الجديد داعيا يهيب بهم الى اللجوء الى واحة الدين ، فتصل دعوته الى أعماقهم وهى تهتف بهم فى الكلمتين الصغيرتين فى مبناهما الكبيرتين فى معناهما " الله أكبر " فتجد قلوبا متفتحة ، وآذانا صاغية ، وعقولا واعية .

وكان عمله كمؤذن فى المسجد فرصة لاتصال الناس به واستطلاعهم أمره وعظمتهم عليه ، فمنهم من كان يساعده بما يجود به ، ومنهم من كان يتطوع بنصحه بامتهان مهنة توافقه ، ومنهم من يعرض عليه أن يجي له ليلة زفاف لقاء عشرة قروش أو ليلة مأتم لقاء خمسة قروش .

وهنا بدأ عبد العظيم يتمتع بصيت لا بأس به كمن ومقرئ حتى أن أحد وجهاء المدينة سمع به يوما فدهاه لإحياء ليلة مرور أسبوع على مولد طفله نقده فيها خمسين قرشا ، لم يكن الفتى يحلم بها أجرا فى يومه . وقد حدث زميلا له كان يصطفيه من صائدى السمك بما كسبه من الحفلة ، فشجعه زميله وقال له إنه يكسب أكثر أو نرح الى القاهرة ، ففيها محطة الإذاعة ، وهى تشجع أصحاب الأصوات الحسنة وتنى فيهم مواهبهم وتقوى استعدادهم . وبعد تردد يسير اختمرت فى رأس عبد العظيم فكرة الزواج الى القاهرة ليحرب حظه فيها عسى أن يتسم له الحظ بعد طول عيوس .

و شاءت المقادير أن تساعد على تحقيق رغبته فأمكنه أن يدخر مبالغ يمكنه وزوجه من السفر الى القاهرة ، فبدأت أصابعه تقبض على المبلغ حتى هرع الى زوجته مصطحبا إياها صوب المحطة حيث ابتاع تذكريتين فى القطار المسافر الى القاهرة .

وفي محطة القاهرة وقف القطار ليضم الى القاهريين وافدين يجدهما الرجاء ويدفعهما
الامل ، ولم يكن لعبد العظيم في القاهرة أهل أو معارف ، ولم يفكر ساعة أن امتطى القطار
من مدينته في أى مكان يذهب عند وصوله الى القاهرة . لذلك اصطدم بهذه المشكلة الجديدة
أين يذهب ، وكيف يسير ؟

جلس الزوجان في ميدان المحطة على افريز الشارع أمام إحدى المقاهى : الزوج يتوكأ على ساق
خشبية صنعها هو بنفسه من أخشاب الصناديق والأشجار بقاءت غير مهذبة وإن كانت تنفى
بالعرض المطلوب ، وكان يرتدى جلباباً قذراً فوقه سترة ممزقة وطربوشاً بالياً . أما الزوجة
فكانت تجرجر خلفها أسملاً بالية تسترها بملءة ليس فيها شبر واحد سليم وتفتعل نعلات تبرز
منه أصابع قدميها الخمسة .

كانا في جلستهما يمتلان البؤس والفاقة بأجلى معانيهما ، فعلى وجه الزوج تلوح دلائل
الحيرة ، وفي عيني الزوجة يرقق بريق الحرمان وجور الزمان .

لاحظ جلستهما واحد من يجلسون في المقهى ، فتملكه الفضول ، فانتقل بكرميه الى
جانبيهما وسألها لماذا يجلسان هكذا ، فقص عليه الفتى قصة ، فثأر الشاب بقصتهما خصوصا
بعد أن رفع عبد العظيم عقيرته بالغناء ليثبت للشباب صدق قوله ، فدعاها الشاب واسمها احمد
الى تمضية الليلة في منزله حتى إذا أصبح الصباح وجد لها مخرجا ، فكان العرض هو كل
ما يرويه عبد العظيم ، فسرعان ما انتقاد هو وزوجته الى أحمد الذى اصطحبهما الى بيته حيث
يعيش مع أمه العجوز .

وفي صباح اليوم التالى اصطحب أحمد افندى الفتى عبد العظيم الى أحد أقربائه من
ذوى المكانة العالية كي يعصل منه على توصية لمحطة الاذاعة ترشح عبد العظيم للعمل فيها ،
ولسوء الحظ وجد الرجل متغيبا في ضيعته فاحتارا ماذا يفعلان ؟

ويتعمد ان كان مسيرهما في طريق محطة الإذاعة ، فسأل الفتى عبد العظيم وهو
الواقف الجديد على المدينة عم يكون البناء الكبير الذى إلى جيمته ، فالتفت أحمد وقال له :
إنه . . . محطة الإذاعة .

دوت هاتان الكلمتان في رأس عبد العظيم وتمثل فيهما أماله الذى أتى ليحققه وحياته
التي سافر ليؤسسها ، وزوجته التي هاجر ليسعدها .

لم يشعر أحمد افندى إلا وعبد العظيم ينعطف إلى باب المحطة فيلججه كي يصدده بواب
المحطة سائلا : إلى أين ؟

— إلى مدير المحطة

— أليديك موعد معه ؟

— كلا وإنما أرسلني له أحد الباشوات بخطاب إليه

— إذن اعطني الخطاب وسأرسله وسيطلبك بعد ذلك

— كلا سأعطيه الخطاب بنفسى .

فلم يجد البواب بدا من الذهاب إلى مدير المحطة وإخباره بأمر الزائر الغريب . وقد يكون وصف البواب لحال الزائر ومظهره أثر في نفس المدير دعاه لسماحة له بالدخول ، وقد يكون لتوصية الباشا الدافع الأكبر ، على كل فقد دخل عبد العظيم إلى غرفة المدير الفخمة يتأملها بإعجاب وافتتان وهو يتوكأ على رجله الخشبية التي تحدث صوتا منتظما كلما خطا خطوة .

— سأله المدير .

— أين توصية الباشا .

— ليس عندي توصيات من أى مخلوق ... ولكن عندي توصية من الخالق .

أعجب المدير بإجابة الفتى البأس فسأله الأمر فقصه عليه ، فقدم المدير إليه جنيتها ودعاه لزيارته في اليوم التالي ليعلن صوتيه ، فانحنى الشاب على يد المدير يقبلها وقد أغرورقت عيناه بالدموع ، ولم يلبس وهو خارج أن يطلب من المدير أن ينه على البواب كي يسمح له بالدخول في اليوم التالي .

* * *

وفي اليوم التالي بدأ عهد جديد يحتوى المطرب الناشئ " عبد العظيم مسعود " فما لبث مدير المحطة أن وجد في الفتى جوهرًا نادرًا ، ولكنه خام يحتاج إلى الصقل والتهديب حتى يصير آية فينة وتحفة نادرة ، فأجرى له مرتبًا شهريًا حتى يتم الفتى دور التعليم والتلقين وأعطاه رداء كاملاً من أرديته ، وكان الفتى على نبىء كبير من الذكاء فمرعان ما تعلم العزف على " العود " وتميز النغمات وضبط الحركات والإيقاع ، ثم ما لبث أن تقدم لعمل " البروفة " النهائية فنجح نجاحًا باهرًا أمكن للمحطة بعده أن تعلن عن عشورها على مطرب نادر سيخلب الألباب ويميز الأفتدة ، وكانت الدعاية التي سبقت الفتى لفتت أنظار الجمهور فظل يترب يوم إذاعته بصبر فأرغ حتى حل اليوم المرتقب .

ولن نتحدث عن نجاح المطرب الجليل فكفى أن مدير المحطة بعد أن سمعه بكى، أجل بكى من روعة الأداء وبجمال الصوت وسحر التفريد .

ولن نتحدث أيضا عن زوجة المطرب الجليل وهي تستمع إلى راديو المقهى المجاور للمنزل الذي استأجرا غرفة منه، أثنائها حشية ووسادة وغطاء، لقد اغرورقت عينها حتى أيضا بالدموع بعد أن استمعت إلى أكف جلساء المقهى وهي تكاد تنقطع من التصفيق وهم انفرط نائهم بالصوت البديع يكادون يخرجون عن شعورهم فيقبلون آلة الراديو إعجابا وافتئانا .

نجاح المطرب "عبد العظيم مسعود" وظل يرقى من نجاح إلى نجاح وينقل من مجد إلى مجد ومن انتصار إلى آخر حتى شعر المطربون القدماء بمنافس قوى أصبح ينازع كبيرهم مكانته ويكاد يقضى عليه ، ولكن ماذا يفعلون، انها هبة الله، وان نستطيع مهما أوتينا من قوة أن نمنعها عن أحد .

أصبح المطرب يسكن مع زوجته شقة نفحة أثنائها بأناث الخم، وأمكنه أن يتناح سيارة جميلة يستعملها في غدواته وبروحاته، وصار الموسيقيون الكبار يتمنون لو ظفروا بالانضمام إلى فرقته ، حتى صارت فرقته أعظم فرقة موسيقية في القطر، وحتى صار اسمه أشهر من الشهرة نفسها ، وكان أصحاب الحوانيت يسمون حوانيتهم باسمه وازياءهم بلقبه "المطرب عبد العظيم مسعود".

تلا هذا الاسم في طول البلاد وعرضها ، وسرى سحره إلى البلدان الشقيقة فصارت العقود ترمى عليه والحفلات في مختلف البلاد تنهال من حوالبه ، والحظ ما زال يواتيه ، ونجته ما زال في صعود .

لم ينس عبد العظيم أن يرسل لأسرته مبلغا كل شهر يستعينون به على قضاء حوائجهم، وكذلك لم ينس أن يقول لزوجته إن طبيعة مهنته تتطلب أن يوهم الناس أنه أعزب حتى يجده سواقا أروح ، فما كان من الزوجة المحبة لخير زوجها الا أن توافق وتدعى أمام زواره ساعة أنها أخته وساعة أخرى أنها خادمتها .

وكان المطرب كثيرا ما يصطحب أو يستقبل في منزله سيدات وأوانس يزعم لزوجته أنهن يدعونه لحفلات³، وكانت المسكينة تصدق وقد يتصادف ألا يكون بالمنزل خدم فتقدم للزوار القهوة باعتبارها خادمة .

وفي يوم من الأيام تعزف المطرب الكبير وهو في أوج مجده وبين نجبة من أصدقائه الذين التفوا حوله من علية القوم وأرباب المناصب وأولاد الأسر، تعرف المطرب بفتاة لعوب أظهرت له من صنوف الإغراء ما جعله يؤمن بأنها تجبه ، فانزاق في تيارها حتى صعب عليه أن يمنع نفسه من الانحدار ، وتمكنت الفتاة من أن تنزع منه وعدا بالزواج

في ساعة من ساعات النشوة الخالمة ، وكانت تستنجزه وعده وهو في حيرة وتفكير دائم عم
يفعله بزوجه التي صارحته منذ أشهر بأنها تحمل جنينا .

وجاءه المخرج اذ قارب زوجه الوضع ، فأشار عليها أن تلد في بلدته عند والدته حيث
تجد من يعني بها ، فالتحذعت الساذجة وسافرت تاركة زوجها ليني على الفتاة اللعوب التي
سلبته العقل وثلث منه التفكير .

وفوجئ سكان الحى الذى يسكنه المطرب بأثاث جارهم ينقل من المنزل الى جهة مجهولة
قتساءلوا : ما السبب ، فظنوا البعض من عرفوا حقيقة الموضوع باخبارهم بأن المطرب سيترج
ولذلك فسيتقل الى مسكن أكبر ، وقد سافرت "شقيقة" الى بلدته لحضرت مع أقاربه .

تزوج المطرب من فتاته وظل في نشوة الزواج متناسيا زوجته الساذجة "أمينه" التي تحملت
معه صنوف الشقاء والحرمان والتي وضعت مولودة فرحت بها وخيل اليها أن نجما جديدا أشرق
في سماء سعادتها وربطها بزوجه يرباط أبدي ، ولكن الزوج العاقل لا يدري شيئا من كل هذا ،
بل هو سادر في غيوبته التي حياتها له زوجته الجديدة من المجلس الصاخب وارتداد
المجتمعات وغشيان الحفلات فكانا لا يرجعان الى بيتهما إلا قبل شروق الشمس يتقابل ،
وكان حتما عليه أن يجارى المجتمع في تقاليده ودستوره فهو يحتسى الخمر ويدخن المحظورات
ويرتكب كل ما يفعله المجتمع الصاخب من بدع ومنكرات .

وفي ذات يوم رجعت الزوجة تحمل طفلتها المولودة فلم تجد من يستقبلها في المحطة برغم
إرسالها ما يفيد ذلك ، فظننت أنه ربما قد نسي الموعد أو حدث ما آخره ، فعمدت شطرنج
المزول وديت جرس الباب ، ففتح لها خادم لم تره من قبل متسائلا ، فأرتبكت أمينة لما
لا حظت على المنزل من تغير ظاهر وسألت : أليس هذا المنزل للأستاذ عبد العظيم مسعود
فورد عليها الخادم قائلا : إن المطرب قد انتقل من المنزل قبل سكاكهم وقد سمع أنه سكن
في شارع كذا المجاور بعد أن تزوج في الشهر الماضى .

وقع الخبر على أمينة كصاعقة نزلت عليها فلزلت كينها ولكنها ذهبت الى عنوان زوجها
الجديد يعذبها الشك ويحدوها الأمل في تكذيب هذا الاقرباء الشنيع ، ولكن الحقيقة قابلتها
هناك بقسوتها المريرة ، فكانت الصدمة هائلة للزوجة الوفية الساذجة التي ليس لها في الحياة
إلا رجلها الغادر ، وعادت مثقلة النفس بالام الفشل الى حيث لا تعلم لها طريقا بينا كلمات
منافستها ترن في أذنها كالجواب السامة ، وتلك الوريقة البيضاء نظير الفراق الأبدى التي
أعطاهها إياها الخادم تهترى يدها المضطربة ، ومشت كالفئالة في ميادين الحياة الواسعة ،
حتى انتهى بها المطاف في مكتب أجد الخدميين الذين كانت على صلة بهم من قبل فخطت
رحالها ، وأمكنها أن تلتحق بمنزل أجد الموسرين كرضعة لطفلهم الصغير .

أما عبدالعظيم فإنه ما كاد ينضم إلى هذه الفئة حتى تملكه الفرور وصار يرد طلبات المعجبين به بتأنف وكبرياء، ويشترط شروطا تعسفية مع متعهدى حفلاته، ثم إن زوجته بدأت تصرف منه بعد غشيانها المجتمع، بل صارت تحقر من شأنه وتذممه بوضاعة أصله، وكان المطرب المسكين يروض نفسه على الاحتمال، حتى ناء بكلكله ونفر من الحياة المنزلية، فقتل بنفسه بين أصدقاء السوء يقضى الليالي بين المحيون والعريضة حتى تعود على قضاء كل أوقاته في الخارج متبعاً هؤلاء الأصدقاء في عاداتهم بازا إياهم فيما يتعاطون من سموم المخدرات حتى صار في دنيا الاستمرار عضوا كبيرا بارزا .

وتماثلت المكيفات والسهر الطويل على إفساد سموته الساحر، وأراد القدر أن يسترد من الشاب الناكر للجميل هبته العظيمة، وأن يتركه يتخبط في ظلمات طغيانه وافترائه، فما لبث عبدالعظيم أن شعر بجنونته الفضية يعلوها الصدا وأوتار سموته الرخيم تقطع واحدا فواحدا، فما من حفلة ذهب لإحيائها إلا وشعر بيوارى الفشل تكال مجهوداته الضائعة، وما من آهة منه كانت تأخذ فيما مضى يجامع الألباب إلا وتصحبها حشجة وتناهبها خشخشة تتردد على أثرها صيحات السخرية وكلمات الاستهزاء وضحكات الشامتين المسحوبة بلاذع النكات وقارص المعاني والأقوال .

وكان هذا الشقاء الجدي يتضاءل أمام عينيه إلى جانب ما يلاقه من أقوال الزوجة المستهتره وسخريتها الدائمة وضخها المستمر مما جعله يتمنى الموت على حياة تنذر بالذل والهوان. وتمادى في تعاطي المكيفات مستعينا بها على نسيان آلامه وأحزانه، ولم تجل عليه المكيفات بصداقتها حتى أصبح مدمنا لا يرى إلا بين الكأس والنار جيله، فساءت صحته وسدت أبواب الرزق في وجهه، وانفض أصدقاء السوء من حوله، كما قات موارده وضاعت ذات يده، ولم تجد الزوجة بدا من الطلاق بعد أن ضاعت آمالها في المطرب الكبير. وهكذا أصبح وحيدا إلا من فقره وشقائه .

وتصادف أن دعى لإحياء حفلة زفاف، فانتعش أمله من جديد، وقضى اليوم السابق للحفلة في التأهب والاستعداد وتعاطي المشروبات الساخنة والنوم الطويل، ولما قاربت ساعة المحدودة للغناء ذهب إلى الحفلة متسطحبا معه من وافقه من أفراد فرقته المنحلة، واحترق قلبه فرحا عندما وقعت عيناه على معالم الزينة وثغامة المكان المعد لغنائه حتى عادت إلى قلبه المحروم بعض الثقة وابتسم كثيرا للجمهور المحتشد في المكان الكبير وانحنى كثيرا قبل أن يأخذ مكانه من المنصة العالية .

ودنا موعد الغناء، وطال التصفيق والتهليل، وعبد العظيم حائر مضطرب لا يدري بأى أغنية يبدأ، وأبها أطول لصوته الضعيف من غيرها، وأخيرا ابتداء في العزف واستمد

